الطقوس الشعبية في رواية "خطأ مقصود" للروائي محمد صابر عبيد

أ.د. صفاء الديـن أحمد فاضـل

SAFAULDEEN_FADHIL@aliraqia.edu.iq .

الباحثة: أمنيـــــة عمار ماجد

omnia.a.majed@aliraqia.edu.iq

الجامعة العراقية–كلية الاداب

The popular rituals in the novel "Intended Mistake" by the novelist Mohamed Saber Obeid

Prof. Dr. Safaa Al Deen Ahmed Fadel
Omniah Ammar Majid
Al-Iraqia University - College of Arts

المستخلص

تُعد الطقوس الاجتماعية من الركائز الأساسية في بنية التراث والأدب الشعبي العراقي، إذ حافظ عليها الوعي الجمعي عبر تناقلها شفاهياً جيلاً بعد جيل، وقد مثّل الأدب الشفاهي، المحفوظ في ذاكرة الناس ووجدانهم، أداة فاعلة في توثيق هذه الطقوس واستمرارها، ليغدو بذلك عنصراً محورياً في تشكيل الهوية الثقافية والاجتماعية للشعب العراقي .

كما تنبع أهمية رواية "خطأ مقصود" من تركيزها على قضايا اجتماعية متعددة تعكس ملامح الواقع العراقي في ظل الحروب وتداعياتها، حيث يصور الكاتب أهوال الحرب بطرحٍ أدبي مؤثر يمسّ القارىء بعمق، ويدفعه إلى تأمل التجربة العراقية من منظور إنساني ومعرفي .

الكلمات المفتاحية: الطقوس، الأدب، الشعبي، محمد صابر، خطأ مقصود .

Abstract

Social rituals are a fundamental pillar of Iraqi heritage and folk literature, They have been preserved by the collective consciousness through oral transmission from generation to generation, Oral literature, preserved in people's memories and conscience, has been an effective tool in documenting and sustaining these rituals, thus becoming a pivotal element in shaping the cultural and social identity of the Iraqi people.

The novel "Intended Mistake" is also significant because it focuses on multiple social issues that reflect the features of Iraqi reality in the shadow of war and its repercussions, The author depicts the horrors of war in a moving literary style that deeply engages the reader, prompting them to contemplate the Iraqi experience from a human and cognitive perspective .

Keywords: rituals, literature, folk, Mohamed Saber, Intended Mistake.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

تُعنى هذه الدراسة بتحليل الطقوس الشعبية كما وردت في رواية "خطأ مقصود" للروائي محمد صابر عبيد، وتأتي أهمية هذا التناول من السياق التاريخي والاجتماعي الذي عاشته البلاد، ولا سيما في ضوء الأحداث المفصلية التي مّر بها الشعب العراقي خلال السنوات السابقة، والمتمثلة في الاحتلال الوحشي لتنظيم داعش الإرهابي للعراق –تحديداً– مدينة الموصل .

فقد شكلت تلك لحظة فارقة في الذاكرة الجمعية للعراقيين ما دفع إلى استحضار الموروث الشعبي، ومنه الطقوس، بوصفه حاملاً لهوية الجماعة، ووسيلة للمقاومة الرمزية في وجه محاولات الطمس والإلغاء.

رواية "خطأ مقصود" واحدة من الأعمال السردية التي تميزت بأسلوبها الفني الخاص وقدرتها على الجمع بين البُعد الذاتي والبُعد الجمعي، حيث يستثمر الروائي تجاربه الشخصية ويعيد تشكيلها عبر حبكة سردية متداخلة مع الموروث الشعبي والتاريخ الاجتماعي العراقي، وعليه، فإن دراسة الطقوس الشعبية في هذه الرواية لا تنفصل عن ذلك الإطار التاريخي والسياسي، بل تنطلق منه لتكشف كيف لجأ النص الروائي إلى إعادة توظيف تلك الطقوس، بوصفها آلية سردية وثقافية، تؤكد على استمرار الحضور الشعبي في مواجهة العنف والتطرف، وتسهم في حفظ هوية المجتمع من التفكك والانهيار.

الطقوس الشعبية :

تُعد الطقوس الشعبية إحدى أبرز تمثّلات الموروث الثقافي في المجتمعات، إذ تمارس دوراً جوهرياً في تنظيم الحياة اليومية وتشكيل الهوية الجماعية، بما تحمله من دلالات

رمزية وارتباطات عميقة بالذاكرة الجمعية، فالطقس بوصفه ممارسة جماعية تتكرر في مناسبات معينة، لا يقتصر على البعد الاحتفالي أو الديني فحسب، بل يتجاوز ذلك ليعبّر عن رؤية المجتمع للعالم، وعلاقته بالزمن، والحياة والموت، والحظ والمصير، ومن هنا فإن تحليل الطقوس يكشف عن منظومة متكاملة من القيم والتصورات، تُعاد صياغتها في السرد الإبداعي بطرق فنية ودلالية .

دوافع عدة للروائي في روايته هذه ومن أهمها تحريك المنظومة التراثية والثقافية التي تنتج الماضي كظاهرة مهمة في الحاضر والمستقبل حتى ويبقى الحفاظ عليه والنهل باستمرار كزيت لا ينضب ولعله ضرورة نحتاج إليها في التغيير والمعالجة والبناء والترميم.

ونحن في هذا الموروث الشعبي لابد لنا من الإشارة إلى الطقوس القديمة التي وردت في الرواية واشتغلت في المخيلة الجمعية بعدها مرجعاً مهما يكسب النص طراوة ويحافظ على فكرة النص ونكهته، إذ حاول الروائي تتبع الطقوس والكشف عن قيمتها عن الثقافية وهذا يدل على وعيه وقرأته للتراث واهتمامه بالتفاصيل كافة حول الفضاء التاريخي الذي انبثقت منه الرواية، بلغة سردية كشفت عن أهمية هذه الطقوس.

الطقس في اللغة: هو (النظام والترتيب)[١] ، (وعند النصارى: نظام الخدمة الدينية أو شعائرها واحتفالاتها، جمعها طقوس)[٢] .

الطقس في الاصطلاح: هو (الكيفية التي يتم بها أداء الأنشطة المقدسة وتنظيمها في إطار احتفالي)[٣]، (ومن حيث الأصل اللغوي تتأتى لفظة **rite** في اللاتينية من **ritus** ويعني: مجموع الأنشطة والأفعال المنظمة التي تتخذها جماعة ما خلال احتفالاتها)[٤]، أو هو (فعل محدد يتيح لصاحبه إقامة علاقة معينة بينه وبين أشياء أخرى في الكون أو الطبيعة أو المجتمع، فالطقوس تتعدد وتتنوع ... وذلك من أجل

فهم الحياة والتأثير فيها واكتساب خيرها واجتناب شرها)[٥]، هذا التعدد والتنوع للطقوس يحمل قيمة معرفية وجمالية وثقافية تستجيب إلى العقل والروح معاً، إذ (تشمل الطقوس كل أنواع الحركات والاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي كما نجدها لصيقة الصلة بالمعتقدات الشعبية، معنى أن بعض المعتقدات تكون مصحوبة ببعض الطقوس والممارسات، وتتميز بالتعقيد من حيث الدراسة باعتبارها جزءاً من الكيان البشري فهي تعبر عن تلك الأحاسيس والتصورات إزاء الظواهر الطبيعية العادية والشاذة)[٦]، فهنا نجد التقارب بين المعتقدات والممارسات والطقوس لان عاملها المشترك هو الإحساس والتصورات التي كانت سائدة والمعتقد الذي يمارسه الناس من أجل إدامة الحياة واستمراريتها.

إنّ الحضور الطاغي للطقوس داخل البنية السردية المعاصرة لا يُعدّ مجرّد استدعاء فولكلوري أو زخرف لغوي، بل هو تعبير عميق عن رغبة الكاتب في إعادة بناء العالم وتشكيل الوعي الجماعي من جديد، عبر ترميم اللحظات المفصلية في الحياة، والحفاظ على ذلك الإرث الرمزي العريق الذي يشكّل جوهر الذاكرة العربية، فالطقس في هذا السياق ليس مجرّد خلفية زمنية أو ثقافية، بل يكتسب وظيفة جمالية ودلالية، من خلال انخراطه في حركة السرد وتحوّله إلى بنية فاعلة في تشكيل المعنى، وقد اتّخذ الروائيون المعاصرون من الطقوس وسيلة لإعادة تفعيل الحسّ التاريخي، بحيث بات الطقس يمثل آلية من آليات إنتاج المعنى وتثبيت الهوية في زمن التحوّل والتشظي، وبهذا فإن سيطرة الطقس على الفضاء الروائي لم تعد مجرد توظيف عرضي، بل هي محاولة لإضفاء عمق ثقافي وإنساني على النص، يعيد من خلاله الكاتب الاعتبار للثقافة الشعبية بوصفها مرآة لروح الجماعة، ووسيلة لإحياء جذورها المطمورة في الحكاية والسرد .

في هذه الرواية نجد التقاط الطقوس والعادات واقتناص الأفكار التي كانت مسيطرة على الذهنية العربية أو الموصلية وهي طقوس متوارثة وظفها الروائي لفائدة النص وإغنائه بل تدفع بعجلة السرد إلى الأمام وهنا يحاول أن يلاقح الحاضر بالماضي لتقريب الفكرة للقارئ تارة وأخرى يحاور الذهنية ويغذي أفكارها أثر لغتها الناضجة التي نقلتها بانسيابية عالية، وفي الرواية طقوس عدة:

١- طقس التيامن والتياسر:

ولعل التراث الديني كان حاضراً لأنه يعد هوية متوارثة، فأغلب كتاب الرواية استثمروا الطقوس الدينية في كتاباتهم ولاسيما في البناء الروائي الحديث لتأكيدهم على أهمية الموروث الديني في الحاضر والمعاصر لما يحمل من رسائل ويحافظ على الهوية الدينية، ومحمد صابر عبيد حرص على توظيف هذه الطقوس والشعائر والمعتقدات وجعلها البعد المهم في الشخصيات واشتغال اللغة السردية لانضاج هذا البعد، ومنها التيامن والتياسر نعيد تكرارها هنا لأنها كعادات وطقوس، (**للتيامن شعوبٌ خاصةٌ تقدس اليمين على مَرّ التاريخ ومُرّ الجغرافيا لدواعٍ عقيديّة وشرعية أو عُرفية مثلما للتياسر شعوب أُخرى تقدس اليسار لدواعٍ مثلها أو غيرها، ومما جاء في مصنّفات "أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي الشافعي" أحد أبرز لُغوي ومحدثي وفقهاء الشافعية في تفضيل التيامن شرعاً على التياسر في ثقافتنا العربية الإسلامية قوله: هَذِهِ قَاعِدَة مُسْتَمِرَّة فِي الشَّرْع، وَهِيَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ بَاب التَكرِيم وَالتَّشْرِيف كَلُبْسِ الثوب وَالسَّراويل وَالخُفّ وَدُخُول المسْجِد وَالسوَاك وَالاكتِحَال، وَالأكل وَالشُرب، والمُصافحة، واستلام الحَجَر الأسوَد وغير ذلك مما هُوَ فِي مَعناهُ يُستَحب التَيامُن فيهِ، وأما مَا كَانَ بِضِدهِ كَدُخُولِ الْخَلَاء وَالخُرُوج مِنْ المسْجِد وَالإمتِخَاط وَالإستنجَاء وَخَلْعِ الثَّوب وَالسَّرَوايل وَالخُفّ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَيُستَحَبّ التَياسُر فيه، وذَلِكَ كُلّه**

لكَرَامَةِ اليَمين وَشرَفِهَا)[٧]، استعمال اليمين واليسار ليسا مجرد أتجاهين أو حركتين بل هما رمزان طقسيان يحملان دلالات ثقافية وعقدية في مجتمعات إسلامية عدة، إذ يرتبط اليمين دائماً بالبركة والطهارة فضلاً عن الاحترام، والعرب تستعمل التيامن في مواضع "**التكريم والتشريف**" لبس الثياب، الأكل، المصافحة، وهذا التيامن من الطقوس الراسخة في التراث العربي ولم تكتف بذلك بل أن الدخول أيضاً يكون باليميـن لما يحمل من رمزية عالية، أما اليسار فهو الآخر يرتبط بالشعوب وضمن طقوسها، يكون التياسر في مواضع "**الخروج والابتذال**" الاستنجاء، خلع الثياب، دخول الخلاء...، كما نسمع باليسار الثوري أو التمردي دلالة على أن اليسار يستعمل للعسر وليس لليسر، وعلى مر التاريخ يستمر هذا الطقس وينتشر جغرافياً إذ يضفي على التيامن والتياسر صفة كونية رغم اختلاف دلالاتها من شعب لآخر.

تحمل هذه الطقوس تقديسات للمحافظة على النقاء والسمو في تيمنها، ورموز الاختلاف في تيسارها، هذه الثنائية هوية جماعية تفرض نفسها عبر الأفعال اليومية، ولا يخفى أنها تحمل سلطة ثقافية متبعة، فكل من يخالف هذه الطقوس يتعرض للرفض والسخرية والتهكم، لهذا نحس أنها أصبحت هوية لا شعورية تمارس على الجسد إيماناً عقائدياً انتماء عرفياً، أي طقس يحمل دلالة الهوية والاعتزاز بالموروث الديني، القائم على الصواب فإذا نظرنا إلى التيامن من وجهة أخرى تشريفه بكُل شيء "**هَذِهِ قَاعِدَة مُسْتَمِرَّة فِي الشَّرْع، وَهِيَ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ بَاب التَكرِيم وَالتَّشْريف كَلُبْسِ الثوب وَالسَّراويل وَالخُفّ وَدُخُول المسْجِد وَالسوَاك وَالاكتِحَال، وَالأكل وَالشُرب، والمُصافحة، واستلام الحَجَر الأسوَد وغير ذلك**"، تشريفه في لبس الثوب والخف ودخول المسجد والسواك والاكتحال والمصافحة واستلام الحجر الأسود، وعلى عكسه التياسر "**وأما مَا كَانَ بِضِدهِ كَدُخُولِ الْخَلَاء وَالخُرُوج مِنْ المسْجِد وَالإمتِخَاط وَالإستنجَاء وَخَلْعِ الثَّوب**

وَالسَّرَوايل وَالخُفّ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ" كدخول الخلاء والخروج من المسجد والامتخاط والاستنجاء .

٢- طقس الوضوء:

كما يُعدّ الوضوء من الطقوس البارزة في الثقافة الإسلامية، سواء نظرنا إليه من زاوية أنثروبولوجية أو سيميائية أو دينية؛ إذ إنه ممارسة شعائرية منتظمة ومتكررة تُؤدّي ضمن سياقات زمانية ومكانية خاصة، وعلى وفق نظام محدد ودقيق تتشارك فيه الأمة الإسلامية على اختلاف بيئاتها ومذاهبها، ويُظهر هذا الطقس جانباً من التناسق الجماعي في الأداء، إذ يتضمن ترتيباً معيّناً لأعضاء الجسد، إلى جانب استحضار النية، ومباشرة فعل الغَسل الذي لا يقتصر على الطهارة الجسدية فحسب، بل يتعداها إلى التطهير الرمزي والروحي، بوصفه تمهيداً للدخول في حالة من الصفاء والانضباط النفسي استعداداً للعبادة، ومن هذا المنظور يمكن عد الوضوء طقساً جامعاً بين الجسد والروح، يحمل في طياته أبعاداً رمزية ودلالية تتجاوز الفعل الظاهري لتلامس جوهر العلاقة بين الإنسان والمقدّس، فيقول: **(أيقظني أبي "عيد" ذات فجرٍ من ماضٍ بدا لي سحيقاً، وسألني وأنا ما أزال أحاول مسح بقايا النوم من عَينّي بصعوبة بعد إذ فوجئت بهذا السؤال في هذا الوقت:**

- **كم صار عمرك الآن؟**
- **دخلت في السنة السابعة يا أبي .**
- **قمْ تَـــــوَضَّأ إذن وصلّ الفجر معي .**
- **ماذا؟**
- **انظر إلي وافعل مثلما أفعل وقل مثلما أقول .**

- لم نتعود إلا على الطاعة العمياء لأبي، كنّا وضعنا ثقتنا المطلقة فيه وبين يديه، ولا نعرف إلا ما يقوله ويفعله وينصحنا به .

- نعم، حاضر .

فعلت مثلما فعل وقلتُ مثلما قال وأكملت الوضوء وبدأت اصلي معه وأقلده في كُل شيء حتى أتممنا صلاة الفجر، منذ تلك الساعة حتى هذه الساعة لم أترك فرضاً واحداً على الإطلاق بإيمان حقيقي، صاحبه تفقه في الدين وقراءةٌ مستمرة للقرآن الكريم، بعد أن علمني تقاليد الوضوء والصلاة وقراءة القرآن وغير ذلك، مما يجعلني قادراً على فهم ما يحيط بي فهماً جيداً في ضوء تعاليم الدين الإسلامي الحنيف)[٨].

هذه الطقوس في رواية خطأ مقصود كأنها تفرغ من محتواها التقليدي لتخرج بحلية جديدة أي تعيد قدسيتها وأهميتها وفحواها للأجيال المعاصرة، وهنا يمكننا القول إن (الخطاب الروائي العربي الحديث والمعاصر عرف منذ بداياته الأولى عدة تحولات كباقي الفنون الأدبية الأخرى، وذلك من خلال تعديل واستحداث أدوات تشكيل، مما أفضى به إلى تحول كبير في تقنياته السردية، سواء في الأشكال أو في الأدوات الفنية والتقنيات الروائية، إذ راهنت هذه الرواية على الخروج بنفسها من التقنيات الروائية التقليدية ومن البناء الكلاسيكي وشقت طريقها نحو التجديد والإبداع)[٩]، وهذه التقنيات إعادة الموروث وقدمته بوصفه مكوناً مهماً وقراءة جديدة ورؤية أخرى تساهم في التفاعل معه...هذا الوضوء من طقوس الصلاة أي الاستعداد للصلاة يعبر عن ثقافة دينية تسيطر على سلوك المؤمنين وبيان نظافتهم في استقبال الصلاة لتكون رسالة ثابتة وفي الوقت نفسه تعليمية للأجيال القادمة، هذه الثقافة التراثية التي حافظ عليها الروائي في روايته وأعاد توظيفها والإفادة منها .

٣- زيارة المراقد والأماكن المقدسة :

إنّ زيارة المراقد والأماكن المقدسة تمثل ممارسة روحانية ذات طابع شعبي عميق، إذ تُضفي على النفس نوعاً من الانشراح والسكينة، وتشكّل وسيلة للتقرب إلى الله من خلال الدعاء والتضرع، وتُعدّ هذه الزيارات من الطقوس الشعبية المتجذّرة في الوعي الجمعي، إذ تمتاز بطقوسها الخاصة ومناخها الرمزي، مما يجعلها شكلاً من أشكال التعبير الثقافي والديني الذي يتجاوز البُعد الفردي ليعبّر عن هوية جماعية حية تتوارثها الأجيال، وتُمارَس بشغفٍ واعتقادٍ راسخين، فهي طقس شعبي جميل أليف كما وصفها الروائي بقوله: **(أما عن نفسي فيكفيني الطقس الشعبيّ الجميل والأليف المشحون بالجمال والسحر الخفيّ، وهو يرافق هذا الموروث ويتحول إلى احتفالات ومباهج لا تنتهي)**[١٠]، هذا الطقس يتحول إلى احتفالات ومباهج لأنها مستحبة فيها التوسل والتعبد وطلب العافية وغيرها، تتم كسياق ديني معتمد، هذه الطقوس استمرار للمسارات وتقوية العلاقة بالموروث بأشكاله كافة، إذ مثلت زيارة الأنبياء والأولياء قيمة تراثية فيها استلهام العبر والدروس والتمسك بتلك المراقد .

هذه الطقوس وغيرها تحولت على يد داعش وقمعهم إلى أداة قمعية بفرض الدين الجديد **(صُدمتُ صدمةً بالغة الشدة والعنف حين رأيت ديناً آخر يُفرضُ علينا بالقوة، لا أثر له في تاريخ الدعوة الإسلامية والخلافة الإسلامية على تعاقب أشكالها، راشدية وأموية وعباسية وأندلسية وما بعدها، يقودها حفنة من البشر حطّوا بين ظهرانينا على حين غفلة بصورة غامضة لم يفهمها أحد، وأغلب الظن أن أجندات معينة أسهمت في خلق هذا الوضع وفرضته على مناطق بعينها لغايات ليست سليمة ولا بريئة بالتأكيد ولا في مصلحة أحد غيرها، غيوم بلا لون تغطّي سماءنا الخجلى وتهبط على أرضنا كي تلوثها بمطر أحمر ينذر بقيامة قريبة فعلاً، كيف لا وعلينا**

حتف أنوفنا أن نعود بأنفسنا قروناً عديدة إلى الوراء، إنها القيامة بلا أدنى شكّ)[١١]، هذا المنهج الجديد المتمثل بالشدة والعنف يرفض تلك الطقوس الجميلة الآمنة الهادئة ويكفر روادها وزوارها يفرضون بالقوة أشياء لم نسمع بها مطلقاً وكأننا في حساب عسير أي أنها القيامة، كما قال بلا أدنى شك...تتحول العبارات والطقوس (**فجأة تحولنا من مؤمنين إلى مرتدّين لا نفهم شيئاً من ديننا الحنيف وعلينا أن نبايع هؤلاء كي يرضى عنّا الله ويدخلنا فسيح جناته بسهولة ويُسرٍ، وننعم بعد ذلك بالحور العين، نتسابق عليهنّ في الدنيا لنكون أول الفائزين بهنّ في الآخرة، وعلينا احتقار الدنيا وقتل من لا يؤمن بدعوانا شرّ قتلة بلا وازع ولا رادع ولا دين ربانّي ولا أخلاق، انقلبت الدنيا بقيامة قبل القيامة الكبرى أو تمهيداً لها كما يعبر عن ذلك دعاةُ ما يصطلحون عليه "علامات الساعة"، البحر من ورائكم والعدوّ أمامكم وليس لكم إلا مبايعة هؤلاء الغرباء بوصفهم أوصياء جدداً على الإسلام، أو أن تصيروا مرتدّين وتموتوا شرّ ميتة)**[١٢]، الذي لم يعلن البيعة لهؤلاء فهو من المرتدين ويحل دمه على أحكامهم الجائرة الغابرة وتزعمهم بأنهم أوصياء على الدين والإسلام قتلوا الطقوس الروحانية في **(حفلاتهم الإجرامية في التفنن بالقتل والذبح وهتك الأعراض، لم يعد للساعات التي أبيعها أو أصلحها قيمة تُذكَر، فلا زمن يسمحون بحركته بين عقارب الساعة سوى زمنهم الأسود الأرعن)**[١٣]، هذه الحفلات تمثل المشهد الأسود، أحد المشاهد القاتمة التي طبعت في الذاكرة الجمعية لمدينة الموصل وسواها من المدن العراقية التي وقعت تحت سيطرة تنظيم "داعش"، إذ لم تعد الصلاة، بوصفها شعيرة تعبدية وروحية خالصة، تُمارَس تعبيراً عن الخضوع لله، وإنما غدت ممارسة مفروضة بقوة السلاح والإكراه، ما أفقدها بعدها الروحي وقدسيتها الإيمانية، ويمكن النظر إلى هذه الطقوس بوصفها "طقوساً دينية مسلوبة" تمت مصادرتها وتشويهها من قبل

التنظيم، إذ لم تَعُد رموز الدين –من أئمة وخطبا – يمثلون سلطة روحية، بل أصبحوا تحت التهديد والترويع، فاقدين القدرة على التعبير أو الإصلاح، وهو ما يُظهر انحراف الطقس الديني عن مقاصده الأصلية، ليغدو أداة قمعية بيد قوة متطرفة.

٤ – الزواج القسري:

من بين الطقوس التي سلطت الرواية الضوء عليها، طقس الزواج الإجباري، والذي تجلّى بوضوح في تجربة "سمر" مع الداعشي الملقب بـ "أبو طلحة الصيني"، هذا الزواج يكشف عن ممارسات قمعية ومهينة درجت عليها التنظيمات المتطرفة، إذ يُجبر النساء على الارتباط بأفراد التنظيم دون رضا أو موافقة، وفي غياب تام لأي من مظاهر الفرح أو الاحتفاء، مما يفقد الزواج معناه الإنساني والاجتماعي، وتمثل "سمر" نموذجاً للضحية التي فُرض عليها هذا الطقس بالقوة، رغم رفضها التام لفكرة الارتباط بعضو في تنظيم متطرّف، فهي (الشخصية الرئيسية المظلومة) [١٤]، في مشهد يلخّص قسوة الواقع الذي فرضته الجماعات الإرهابية على النساء في المناطق الخاضعة لسيطرتها ، فيقول :

- **(يبدو أنك لست مسلمة أليس كذلك؟ .**
- **بلى أنا المسلمة فهل أنت مسلم؟ .**
- **أنا أمير من أمراء المسلمين بدليل أنني ألقيت عليك تحية الإسلام ولم تردّي بمثلها أو أحسن منها، فمن منّا المسلم؟ .**
- **ابحثْ عمّن يعترف لك بذلك ليردّ لك التحية .**
- **يعجبني هذا النوع من النساء .**
- **ولا يعجبني هذا النوع من الرجال .**
- **أنت مرغمة على القبول بي زوجاً ولا حيلة لك في رفضي مهما حاولتِ .**

- **لن أكون زوجة لأحد، لا أنت ولا غيرك)**[١٥].

هذه طقوس داعش في الزواج التي لا نعلم على أي ملة أو دين، (**يُدخلني في نوع من الاغتصاب القسري الاضطهادي العنيف الشرس الشاذ، يغتصب فيه جسدي وروحي يقتل أي إحساس في أعماقي بأنني إنسانة أولاً وأنثى ثانياً، مع أن خيطاً طفيفاً عابراً من متعة ملتبسة بدت لي فيما بعد زائفة...رغبتي الأنثوية الكامنة في المرأة الغريبة التي تسكنني الآن على غفلة مني)**[١٦]، تتجلى في هذا الموقف ملامح وحشيةٍ اجتماعيةٍ صارخة، إذ يُختزل وجود المرأة في صورة "جارية" لا تملك الحق في الاختيار أو تقرير مصيرها، لا في الزواج ولا في سواه من شؤون الحياة، غير أن شخصية "سمر" ترفض هذا المنطق الذكوري القمعي، وتردّ عليه بالفعل لا بالقول، إذ تلجأ إلى فعل عنيف –تمثّل في إحراقه– كفعل احتجاجي حادّ يعكس حجم الغضب والرفض والانتصار لكرامتها المصادرة، **(يا لَثارات كليب...هذا آخر عهدك بالدنيا إلى جهنم الحمراء أيها الصيني الميت، لاحياة لك بعد الآن، ولا إمارة، ولا خدم ولا حشم ولا جوارٍ ولا إماء ، لا شيء سوى فضلاتٍ رمادٍ كريهٍ ستنساه الدنيا مثلما تنسى أدنى تَرِكاتِها المهملة، أغرقتُ المكان به ولم أبقِ منه قطرة ثم ابتعدت قليلاً عنه وقذفت عود الكبريت في وسطه بثقة من يقود معركة رابحة محسومة النتائج، لم أصدق كيف أنّ النار الأنثى التهمتْ بسرعة البرق القاصف المكان التهاماً مريعاً في حركة استشراء عجيبة، تململ جسده بارتخاءٍ ومُقاوَمةٍ أول الأمر، وحاول أن يحرك جذعه الأعلى بما أوتي من قوّة حتى ظننتُ أنه سيقوم فعلاً وسينهض في النهاية، لكنّ قوّة النار الجبّارة الهائلة "نار الله الحامية" ما لبثت أن أسقطته، وهي تأكله قطعةً قطعةً كما يأكل الغولُ فُتات الحكايات على ألسنة الحكواتيين المَهَرة، اللهيبُ المباركُ الواعدُ يغطّي جسده بصُفرةٍ ناريّة ضاحكة تحجبُ تضاؤلَهُ وتأتي عليه بهدوءٍ لا أجمل**

منه ولا أحلى ولا أنقى ولا أصوب ولا أرقى ولا أندر)[١٧]، إن فعل سمر في النهاية لم يكن سوى لحظة تفجّر رمزية لبطولة نسوية صامتة، اختزلت فيها معاناة فتيات الموصل والحرائر اللواتي وقعن ضحايا لطقوس القمع والانتهاك تحت سلطة داعش، لقد تحوّلت سمر من ضحية إلى رمز مقاوم، إذ اختارت الموت على الخضوع، والإحراق على الانكسار، فأشعلت النار بجثة الداعشي "أبو طلحة الصيني" كما لو كانت تنتقم لكل النساء المغتصبات، ولكل من انتُهكت كرامتها، وما قولها في تلك اللحظة –وهي تستمتع بمشهد النار تأكل جسده– إلا تعبير مكثّف عن تمثيل شعبي غاضب للمظلومية الجمعية، وتحرّر ذاتي عبر فعل نهائي، يُمكن تأويله بوصفه طقس تطهير ومقاومة أكثر منه انتحاراً تقليدياً، لقد جعلت من جسدها وقوداً لصرخة حرية، ومن نهايتها بداية لوعي نسوي مقاوم، فتقول: **(منظر هائل يحتل المكان احتلالاً مطلقاً فتحتفل به روحي الملتاعة، وينتقم به جسدي المستباح، وأنا في حالة استمتاع رهيبة ورضى يشعّ مني كي يلتحم بهذه النار المباركة المجيدة، وأقبّل محيّاها وأشكر طاقتها الجهنمية الأصلية، المجد لك أيتها النار وأنت تعيدين الحقّ لأصحابه، ما أسعدني بك وما أجل ما فعلتِهِ في هذه الليلة الليلاء، سأبقى مديناً لك يا ناري، يا نار الحق والسلام والانتقام)**[١٨]، تحتفل وتنتقم في الوقت نفسه من طقوس الزواج القسري الذي أرغمت عليه هذه الطقوس تتحول إلى أداة احتلال للجسد والكرامة ومكانة المرأة، فالإسلام أعز الأمة الإسلامية بطقوس الزواج وبناه على أساس القبول والإعلان والإشهار وغيرها، وفي الرواية وجدنا الفقد اللاذع لتصرفات داعش الوحشية وفرض طقوساً جديدة على الناس وصفها الروائي بطقوس متمردة لا تمد إلى أي موروث عرفه العرب، فهي سلوكيات وأفعال غير مرتبطة بسيرة معينة، طقوس تدل على جهل داعش وأفكاره السيئة .

تحتل الطقوس موقعاً محورياً في البناء السردي لرواية خطأ مقصود، ولا سيما حين تتحول من كونها مظاهر احتفالية ترتبط بالفرح والتقاليد إلى أداة قمع واستلاب، كما يتجلّى ذلك بوضوح في تجربة سمر مع طقوس الزواج القسري، فبدلًا من أن تكون تلك الطقوس تعبيراً عن قيم القبول والإشهار، والإعلان التي أرساها الإسلام لبناء الزواج على أسس شرعية تحفظ كرامة المرأة وحقوقها، نجد أن تنظيم داعش قد فرّغها من محتواها الروحي والإنساني، واستبدلها بطقوس مهينة تقوم على الإكراه والقهر وتغيب فيها الإرادة الحرة .

وفي هذا السياق، لا تعدّ طقوس الزواج القسري في الرواية سوى شكلٍ من أشكال الاحتلال الرمزي للجسد والكرامة، فالسلوك الداعشي لا ينتمي إلى الموروث الشعبي أو الديني، ولا ينهض على أيّ سيرة اجتماعية أو معرفية معروفة في الثقافة العربية والإسلامية، إنّها طقوس مستحدثة، "متمردة" –بحسب تعبير الروائي– لا تمتّ بصلة لأي تقليد راسخ، بل تعبّر عن جهل مطبق وفهم منحرف للدين والمجتمع، وهي تمثّل انقلاباً على منظومة القيم الروحية والإنسانية التي شكلت أساس الموروث الشعبي في المجتمعات العربية .

بهذا التصوير، تكشف الرواية عن حالة فقدٍ فادحة للموروث الشعبي الأصيل، وتفضح كيف تمّت مصادرة الطقوس وإعادة تشكيلها على يد قوى متطرفة لتُستخدم كسلاح ضد المرأة والمجتمع، لتتحول من مناسبات فرح جماعية إلى ممارسات قسرية تنتهك الذات وتسلبها أبسط حقوقها في تقرير مصيرها .

مما تقدم يمكنني القول إن ممارسة الطقوس الدينية ودعمها وتعزيزها في النص الروائي بوصفها ركيزة أساسية في الحياة ومهمة رغم ما جاءت به داعش من طقوس مرفوضة إلا أن الرواية بقت تدافع عن الطقوس الأليفة الجليلة فهي وجدان المجتمع وموروثه

الثقافي فـ (بعض الممارسات الاجتماعية الثقافية كالشعائر والطقوس الدينية، وتشييد المساجد والمعابد والأضرحة، والمعالم الأثرية ذات الصبغة الدينية، والتي تعبر عن ثقافتهم وانتمائهم الروحي الديني عبر الأزمنة بين مختلف الشعوب والذي يتم نقلها عبر صيرورة التنشئة الاجتماعية والتي ترتكز على الحفاظ على هذا التراث الشعبي الديني المتوارث عبر الأجيال من خلال تقديم الطاعة والاحترام والالتزام والخضوع والخنوع له)[١٩].

تشيد الرواية بالطقوس السليمة والتي توحد الأمة والأسرة، والإيمان المطلق بالانتماء الروحي الديني الذي يحافظ على التراث ويعيد ذكراه بحب واحترام .

٥- الطقوس اليومية :

تنظيم داعش لم يقتصر تأثيرهم على الطقوس الدينية الكبرى فحسب، بل امتدّ ليطال الطقوس اليومية البسيطة التي تشكّل جوهر الحياة البيتية، ومنها طقوس إعداد الأكلات الشعبية، وما يصاحبها من تحضيرات وعادات متجذّرة في الوجدان العراقي، مثل طقوس إعداد الدولمة في يوم الجمعة، أو جلسات الشاي المسائية التي تجمع أفراد العائلة حول أحاديث دافئة وذكريات مترسخة، كل هذه الطقوس البسيطة تحوّلت إلى ممارسات مهددة، وتآكلت تحت وطأة الخوف والاضطراب، ليحل محلها شعور عام بالتعاسة والتوجس، حتى في أدق تفاصيل الحياة اليومية .

وبهذا، فإن الرواية ترصد كيف تحوّلت طقوس السعادة البيتية إلى طقوس من الحزن والانكسار، إذ تشوّهت معانيها بفعل الاحتلال المتطرف للمكان، فتبددت تلك اللحظات التي كانت تمنح الحياة معناها الأعمق، وتحوّل البيت من حاضن للفرح الجمعي إلى فضاء مسلوب الأمن والهوية، وبهذا المعنى، فإن الطقوس –سواء الكبرى أو الصغرى– تُشكّل لبّ الموروث الشعبي، وحين تُغتال هذه الطقوس، يُغتال التراث نفسه، وتُصاب

الروح الجمعية بعطب يصعب التئامه بسهولة، **(أعرف يا أمي أنك ستبكين حتما، وأنت تقرأين كلماتي هذه وتهتفين في سرك: " تعال يا بني ..تعال.. لأطبخ لك الكبة والدولمة والتشريب والبرياني وما يشتهيه قلبك من يديّ أمكم التي ليس لها غيركم "..أعرف ذلك كأنني أراه وألمسه..آه يا أم سلام وعماد وسمر..أه..ماذا حل بنا لتتحول تلك السعادة المحسودة إلى شقاء ما بعده شقاء، وما حجم ما نحتاجه من الصبر والصمود والكبرياء كي ننجو من هذه القيامة وقد تحولت أهواء الدنيا كلها إلى عواصف مدمرة لا تبقي ولا تَذَر، أحبك يا أم سلام.. أحبك جداً بلا حدود، ولولا هذا الحب صدقيني لأنهيتُ حياتي غير آسف عليها)**[٢٠] إن الطقوس اليومية التي حرص الروائي على إبرازها في رواية خطأ مقصود لم تكن مجرد تفصيلات سردية عابرة، بل جسدت ممارسات ذات طابع رمزي ونفسي عميق، تسهم في إنتاج مشاعر الاستقرار والبهجة داخل الحياة المنزلية، بوصفها شكلاً من أشكال الهوية الثقافية المتوارثة عبر الأجيال في المجتمع الشعبي، فالتحضيرات المنزلية الدقيقة، وإعداد الأكلات الشعبية في مناسبات معينة، كانت بمثابة تجسيد حيّ لقيم التواصل العائلي، والانتماء للموروث الجمعي، ومصدراً من مصادر الفرح اليومي .

لقد حوّل التنظيم مشاهد السعادة إلى طقوس خوف وتعاسة، وبدل أن تكون الصلاة طقساً روحانياً طوعياً، صارت أداة قسرية يُرغم بها الناس على الطاعة، وأُلغيت ممارسات الفرح الجماعي من موروث الزواج، والاحتفالات، والزيارات، وحتى المناسبات الدينية .

مع ذلك، فإن هذه الموروثات الشعبية لم تندثر تحت وطأة الإرهاب، بل عادت لتفرض حضورها بعد الظلام، بوصفها جزءاً من الذاكرة الجمعية وأيقونة ثقافية عراقية لا يمكن محوها، طقوس تحوي في داخلها مضامين وقيم متجذّرة في وعي الإنسان العراقي، لا

يمكن الاستغناء عنها، كما أنّ الطابع الروحي والديني الذي حملته هذه الممارسات ظل عصياً على التدمير، لأن ما يتجذر في الأعماق لا تمحوه القوة ولا تزحزحه الوحشية .

إن الرواية ترسّخ من خلال اشتغالها على هذه التفاصيل الطقسية قناعة مفادها أن الموروث الشعبي لا يُقهر، وأن استمرارية هذه الطقوس، حتى في أبسط صورها، تمثّل نوعاً من المقاومة الثقافية التي تحافظ على هوية الأمة، وتعيد ترميم الذاكرة والكينونة الجماعية بعد كل ما شهده المجتمع من محن وتحديات .

الروائي عاش الصراع الدموي الذي شهدته مدينة الموصل وخطابه هذا أسهم في انتاج دلالة ثقافية واجتماعية وجمالية نابعة من الموروث والفولكلور الموصلي المميز بعاداته وتقاليده وممارساته، وهذا العمل برمته هو أثبات الحدث التاريخي التي تعرضت له الموصل وما تعرضت له الطقوس المتوارثة من تكفير وقضاء، لكن الروائي حاول إبرازها ليتناقلها الخلف وتبقى متوارثة دون تلويث بطابعها التعليمي والفكري .

ترى الباحثة أن التمثيل الشعبي في اللغة السردية واضحا، أي أن هذه الطقوس وظفت بلغة سردية تتلاءم مع بيئتها الاجتماعية والثقافية وتمنح النص واقعية أكثر، لاسيما في وصف هذه الطقوس وما تحمله من مضامين وحكم، نغمة سردية مؤثرة ومألوفة ومستقاة من حياة الناس اليومية وتصوراتهم، مما جعل السرد مرتبطاً ببيئته المحلية وطابعه الشعبي .

النتائج:

١- يُعدّ الطقس ظاهرة اجتماعية تتسم بطابع فردي وجمعي في آنٍ واحد، يستند إلى أصول راسخة وقواعد دقيقة التنظيم، ومن أبرز أشكال هذه الطقوس الشعبية زيارة المراقد والأماكن المقدسة، بوصفها ممارسة روحانية عميقة الجذور في الوعي الجمعي، تعكس ارتباط الإنسان بتراثه ومعتقداته، غير أن هذه الطقوس، التي اتسمت بالألفة والسكينة، تعرضت لتحولات جذرية في ظل المتغيرات السياسية والاجتماعية، إذ تحولت – خلال سيطرة تنظيم داعش – من فعل شعبي روحاني إلى أداة قمعية تُستخدم لفرض دين جديد وفكر متطرف، مما أخرجها عن سياقها الشعبي .

٢- لا يزال الشعب العراقي – ولا سيما في مدينة الموصل – متمسكًا بالطقوس الشعبية، إذ تتجلى في سلوكياته اليومية وانفعالاته بشكل لا إرادي، وتظهر في ممارساته دون وعي أو قصد، ذلك لأن هذه الطقوس ليست مجرد موروث ثقافي، بل هي مكتسبة وراسخة في أعماق النفس، تشكّل جزءاً من الهوية الجمعية التي تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل .

٣- إن الطقوس في التراث الشعبي لا تندثر بفعل الاحتلال وحده، بل إن الخطر الحقيقي يكمن في تجاهل أبناء الشعب لأهميتها وإهمالهم لها، دون السعي إلى إحيائها أو الحفاظ عليها، فغياب الوعي بقيمتها الرمزية والثقافية هو ما يهدد استمرارها ويدفعها نحو النسيان أكثر من أي ظرف خارجي.

الهوامش:

(١) المنجد في اللغة، لويس معلوف اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١ . ص٤٦٨، مادة(طقس).

(٢) المعجم الوسيط، ابراهيم انيس وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة–مصر ،ط٢، ج٢، ص٥٦١، مادة(طقس) .

(٣) الطقوس وجبروت الرموز، منصف المحواشي، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا، ٤٩، ٢٠١٠م، الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل .

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) معجم النقد الأدبي الحديث، محمد محي الدين مينو، دائرة الثقافة والإعلام، الشـــارقة، ط١، ٢٠١٢م، ص٢٠١ .

(٦) الموروث الشعبي في رواية "حروف الضباب" للخير شوار، بديرينة فاطمة الزهراء، ساعد خديجة، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب واللغات، جامعة آكلي محند أولحاج، الجزائر، ٢٠١٣م، ص٥٨.

(٧) رواية " خطأ مقصود "، محمد صابر عبيد، دار الشّنفرى، تونس، ط١، ٢٠٢٤م، ص٨.

(٨) المصدر السابق نفسه، ص٦١–٦٢.

(٩) توظيف الموروث الأفريقي في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" للصديق الحاج أحمد الملقب بالزيواني، فاطمي عبد الرحمان، أطروحة دكتوراه، جامعة غرداية، الجزائر، ٢٠٢٠–٢٠٢١م، ص١٢ .

(١٠) رواية " خطأ مقصود "، ص٧٥ .

(١١) المصدر السابق نفسه، ص٦٣ .

(١٢) المصدر السابق نفسه، ص٦٣–٦٤ .

(١٣) المصدر السابق نفسه، ، ص٦٤ .

(١٤) أنماط الشخصية في رواية خطأ مقصود، محمد نبي الأحمدي، اياد هلال عبدالله، مجلة مداد الآداب، كلية الآداب، الجامعة العراقية، مج١٤، ع٣٧، ٢٠٢٤م ص٤٦٩ .

(١٥) رواية " خطأ مقصود "، ص٩٢ .

(١٦) المصدر السابق نفسه، ص٩٧ .

(١٧) المصدر السابق نفسه، ص١٠٢ .

(١٨) المصدر السابق نفسه، ص١٠٢-١٠٣ .

(١٩) التراث الشعبي الديني ودوره في الترويج السياحي، بن مزيان حنان، طاهر مسعودي، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية، جامعة زيان عاشور-الجلفة، الجزائر، العدد٥، مارس،٢٠١٩م، ص٢٢٥ .

(٢٠) رواية " خطأ مقصود "، ص٢٢٠ .

المصادر والمراجع:

(١) أنماط الشخصية في رواية خطأ مقصود، محمد نبي الأحمدي، اياد هلال عبدالله، مجلة مداد الآداب، كلية الآداب، الجامعة العراقية، مج١٤، ع٣٧، ٢٠٢٤م .

(٢) التراث الشعبي الديني ودوره في الترويج السياحي، بن مزيان حنان، طاهر مسعودي، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية، جامعة زيان عاشور-الجلفة، الجزائر، العدد٥، مارس،٢٠١٩م .

(٣) توظيف الموروث الأفريقي في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "كاماراد رفيق الحيف والضياع" للصديق الحاج أحمد الملقب بالزيواني، فاطمي عبد الرحمان، أطروحة دكتوراه، جامعة غرداية، الجزائر، ٢٠٢٠-٢٠٢١م.

(٤) رواية " خطأ مقصود "، محمد صابر عبيد، دار الشّنفرى، تونس، ط١، ٢٠٢٤م .

(٥) الطقوس وجبروت الرموز، منصف المحواشي، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا، ٤٩، ٢٠١٠م، الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحوّل .

(٦) معجم النقد الأدبي الحديث، محمد محي الدين مينو، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ط١، ٢٠١٢م .

(٧) المعجم الوسيط، ابراهيم انيس وآخرون، مجمع اللغة العربية، القاهرة-مصر،ط٢، ج٢، ص٥٦١، مادة(طقس) .

(٨) المنجد في اللغة، لويس معلوف اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١ . ص٤٦٨، مادة(طقس).

(٩) الموروث الشعبي في رواية "حروف الضباب" للخير شوار، بديرينة فاطمة الزهراء، ساعد خديجة، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب واللغات، جامعة آكلي محند أولحاج، الجزائر، ٢٠١٣م.

Sources and references:

(1) The Personality Types in the Novel "Intentional Error", Muhammad Nabi Al-Ahmadi, Ayad Hilal Abdullah, Madad Al-Adab Journal, College of Arts, University of Iraqia, Vol 14, Issue 37, 2024 AD.
(2) Religious folklore and its role in tourism promotion, Ben Mizyan Hanan, Taher Masoudi, Majloul Mafhoum for Philosophical Studies, Ziane Achour University - Djelfa, Algeria, Issue 5, March 2019.
(3) Employing African heritage in the contemporary Algerian novel, the novel "Kamarad, Companion of injustice and loss" by Al-Siddiq Al-Hajj Ahmed, nicknamed Al-Ziwani, Fatimi Abdel Rahman, PhD thesis, University of Ghardaia, Algeria, 2020-2021.
(4) The novel "Intended Mistake", Mohamed Saber Obeid, dar al shanfari, Tunisia, 2024.
(5) Rituals and the Power of Symbols, Moncef El-Mahouashi, Insaniyat, Algerian Journal of Anthropology, 49, 2010.
(6) Dictionary of Modern Literary Criticism, Muhammad Muhyi al-Din Minu, Department of Culture and Information, Sharjah, 1st edition, 2012.
(7) Al-Mu'jam Al-Wasit, Ibrahim Anis and others, Arabic Language Academy, Cairo, Egypt, 2nd edition, Part 2.
(8) Al-Munjid fi al-Lughah, Louis Maalouf, Catholic Press, Beirut, 1st edition.
(9) Popular Heritage in the Novel "Fog letters" by Al-Khair Shawar, Badirina Fatima Al-Zahra, Saed Khadija, Master's Thesis submitted to the Faculty of Arts and Languages, Akli Mohand Oulhadj University, Algeria, 2013.